مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٠)، العدد (٣)، ص ص ١٤٢٣-١٤٥٨، (رجب ١٤٣٨هـ/ مارس ٢٠١٧)

المُمَاتُ وما في معناه من الألفاظ في معجم لسان العرب "دراسةٌ في المصطلح والدّلالة"

د. إيمان بنت محمد المدني
كلية الآداب – قسم اللغة العربية
جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن- المملكة العربية السعودية

ملخص البحث. إنَّ العناية بألفاظ العربية ـ جمعا وشرحاً وتأصيلاً ـ قد شغلت علماء اللغة العربية قديماً وحديثاً؛ فانبروا يتسابقون إلى تصنيفها وإحصاء ما يمكن منها، وبيان رتبها في الفصاحة والاستعمال، ولذلك ألّفت الرسائل اللغوية المتعدّدة، ومن ثمّ معاجم المعاني والألفاظ الجامعة لكثير من ألفاظ العرب، وهي أكثر من أن تحصى. ومعجم لسان العرب لابن منظور " ت ٧١١ هـ " من أوسع معاجم الألفاظ؛ إذ ضمَّ بين طياته كتباً خمسة من أبرز كتب الألفاظ ومعاجمها، وهو معجم موسوعيٌّ، ولذلك اخترته ليكون مصدراً لتأصيل الألفاظ والبحث عن الممات والمهمل والمستعمل والمتروك وغيرها من الألفاظ المتشابهة في المعنى، وكانت خطة البحث تقتضي تأصيل المصطلحات التي تشير إلى الألفاظ المماتة وهي متعدّدة ومتشابهة دلاليّاً، وعرض آراء القدماء والمحدثين فيها، ومن ثمَّ بيان منهج ابن منظور في إيراد اللفظ الممات، وهو منهج متعدّد؛ وذلك بسبب تعدّد المصادر التي نقل عنها، واختلاف مناهج أصحابها. وإيضاح أبرز الأسباب التي تؤدي إلى إهمال اللفظ وإماتته. وكان من أبرزها : الأسباب الصوتية والدّلالية والاقتراض اللغويّ. وبعد ذلك إبراز لأنواع الممات في لسان العرب؛ فهو يقع على ضربين : اسم وفعل. وغاية البحث تسليط الضوء على جهود علماء اللغة قديماً وحديثاً في قضية العناية بألفاظ العربية، وإبراز جهود ابن منظور في جمع الآراء المتعدّدة حول قضية الممات في اللغة العربية؛ وذلك خدمة للغة الأم، وحفاظاً على رتب فصاحتها، وبيان أنَّ كثيراً من الألفاظ المتروكة والمماتة يمكن إعادة استخدامها والاشتقاق منها وإعادة تفعيلها بدلاً من استخدام ألفاظ دخيلة غير عربية.

مقدِّمة

ألفاظ العربية أكثر من أن تحصى، والعناية بجمعها وشرحها وبيان رتبها في الفصاحة والاستعمال من أول ما شُغِل به علماء العربيَّة قديماً، ومازالت الدراسات اللغوية الحديثة تحقّق الألفاظ وتبحث عن تطوّرها الدلالي، وتفرّق بين المستعمل منها والمتروك، وتوازن بين معانيها، لأنّ الألفاظ هي لبّ فقه العربية وعليها اعتماد الحذّاق والبلغاء من الشعراء والحكماء.

ولعلَّ معجم "لسان العرب" لابن منظور "ت٧١١هـ" من أعظم الكتب التي ألفت في مفردات العربية، فهو معجم ألفاظ جمع فيه صاحبه ابن منظور خمسة كتب من أئمَّة كتب اللغة، وهي: الصِّحاح للجوهريّ، وحاشية بن برّي، وتهذيب اللغة للأزهري، والمحكم لابن سيده، وجمهرة اللغة لابن دريد، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير.

فهو معجم ألفاظ وكتاب ونحو وصرف وفقه وأدب وشرح للحديث الشريف وتفسير للقرآن الكريم. ولذلك وقع اختياري عليه ليكون مصدراً للبحث عن الألفاظ المماتة والمهملة، ففيه غناء عن أهم كتب اللغة، وشهد له علماء اللغة قديماً وحديثاً بالدّقة والموسوعية والشمول لمفردات اللغة الكثيرة.

وسأبدأ البحث بتأصيل مصطلح الممات والألفاظ المترادفة أو المشابهة لهذا اللفظ وأذكر الدراسات السابقة حول الممات عامّة، ومن ثَمَّ أنتقل إلى تحديد الألفاظ المماتة في لسان العرب، وبيان أسباب إماتتها، مع ذكر الشواهد والأدلّة المناسبة للبحث. وقد صنعت جدولاً بالأفعال التي نصَّ ابن منظور على إماتتها، وإهمالها واعتمدت المنهج الوصفي في عرض مصطلحات الممات ومن ثمّ المنهج الإحصائيّ الدّلالي. والغاية رصد هذه الظاهرة في معجم لسان العرب، وبيان طرائق العرب في ترك اللفظ المستثقل إلى الأخف، والقديم إلى ما يواكب الحضارة، فلغة العرب واسعة ولا يضيرها إهمال ألفاظ يسيرة، ولسان العرب بأجزائه خير دليل على اتساعها.

خطة البحث

تقوم خطة البحث على:

- تأصيل مصطلحات "موت الألفاظ".
- المصطلحات الدالة على موت الألفاظ عند علماء اللغة في العصر الحديث.
- مصطلحات الممات في معجم لسان العرب، ومنهج ابن منظور في إيراده.
- ألفاظ مماتة لم ينص ابن منظور على إماتتها.
- أسباب موت الألفاظ.
- أنواع الممات.
- جداول إحصائية.
- خاتمة وأهم النتائج.
- المصادر والمراجع.

تأصيل مصطلحات "موت الألفاظ"

إنّ المصطلحات التي تشير إلى الألفاظ المماتة في العربية متعدِّدة ومتشابهة من حيث الدلالة، ومن أبرز هذه المصطلحات: المُمات، المتروك، المهمل، المستغنى عنه "الاستغناء" والعقمي.

وهناك أيضاً أوصاف أخرى أطلقت على بعض الألفاظ التي تعد من ملحقات الممات، ومن هذه الأوصاف: المذموم، القبيح، الرديء، الحوشي، المنكر، الضعيف، الغريب. ولعلّ مصطلح "الممات" من أكثر المصطلحات الدالة على موت الألفاظ وفنائها، وبقية المصطلحات تكاد تكون مترادفة مع اختلاف قليل في المستوى المعنوي، ويمكن أن نعدّ ابن دريد(ت٣٢١هـ) أوّل من توسّع في استخدام هذا المصطلح في معجمه "الجمهرة" بعد أن ذكره الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) في معجمه العين حين قال: ((التَّرنُّم: فعل مماتٌ منه اشتقاق التَّرَنُّم، ترنَّم يترنَّم تَرنُّماً، إذا رجَّع صوته، وكذا ترنَّم إذا مدَّ في صوته))[١].

(١) العين ٤٠٠/٧ "ر ن م" الجمهرة ٨٠٢/٢ "ر م ن".

وقوله:

"العَهَقُ أُميت فعله لمجاورة الهاء العين، فقالوا: بعير عَوْهَق، أي: طويل، ففصلوا بينهما بالواو"(٢).

أما مصطلح "المتروك" فهو ما تُرِك استعماله من الكلام لأسباب عدَّة، وعرَّفه السّيوطي (ت٩١١هـ) بقوله: ((ما كان قديماً من اللُّغات ثُمّ تُرِك واستعمل غيره))(٣).

واستعمل القدماء "لغة متروكة" للدلالة على لفظ مهجور، ومن ذلك قول ابن منظور: ((قال شمَر: قُرْحانٌ إن شئت نوَّنتَ، وإن شئتَ لم تُنَوِّن، وقد جمعه بعضهم بالواو والنون، وهي لغة متروكة))(٤).

وقال ابن دريد:

((والقَفْذُ: كلام قديمٌ متروك، وأصله: زعموا التَّقبُّض والتَّجَمُّع))(٥).

ويترادف المتروك والمهجور، وإن كان أبو البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ) يعدّ المتروك أعمَّ من المهجور.(٦)

ومن المصطلحات التي نذكرها في معرض الحديث عن المُمات وتأتي في بعض جوانبها مقاربة مصطلح الممات عند بعض الدّارسين مصطلح "المهمل"، وقد فصَّل ابن فارس (ت٣٩٥هـ)الحديث عن المهمل فجعله في أضرب ثلاثة، فقال:

((ضرب لا يجوز ائتلاف حروفه في كلام العرب بتَّة، وذلك كجيم تؤلّف مع كاف أو كاف تُقدَّم على جيم، وكعين مع غين، أو حاء مع هاء أو غين،

فهذا وما أشبه لا يأتلف ..... والضرب الآخر يجوز تآلفه وليس بالنافر... فهذان ضربا المهمل، وله ضرب ثالث وهو أن يريد مُريد أن يتكلّم بكلمة على خمسة أحرف ليس فيها من حروف الذَّلق أو الإطباق

---

(٢) العين ١/١٢٨.١٢٩ "ع هـ ق" وجمهرة اللغة ٢/٩٤٥ (ع ق هـ) .

(٣) المزهر ١٧٥.

(٤) اللسان (قرح) .

(٥) الاشتقاق لابن دريد ١٤٤.

(٦) انظر الكليات ١/٢٢٥.

حرفٌ، وأيّ هذه الثلاثة كان، فإنه لا يجوز أن يُسمَّى كلاماً ..... وأهل اللّغة لم يذكروا المهمل في أقسام الكلام، وإنّما ذكروه في الأبنية المهملة التي لم تقل عليها العرب))[٧].

وإهمال اللفظ في غالبه يعود إلى استثقال اللفظ، والعرب تطلب الخِفَّة وتهمل ما فيه صعوبة النطق، ومن ذلك ما قاله ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ):

((ووقوع المهمل من هذه اللغة على ما قدّمته لك في الأكثر من اطّراح الأبنية التي يصعب النطق بها لضرب من التقارب في الحروف، فلا يكاد يجيء في كلام العرب ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة لحزونة ذلك على ألسنتهم وثقله))[٨].

والمهمل في المعاني السابقة يكاد يكون مرادفاً للمات من حيث قدمه وترك استعماله. وليس كل مهمل ممات، فبعض الألفاظ الموصوفة بالإهمال لم تستعمل أصلاً، كما في بعض تقاليب كلام الخليل في العين، ولكن أردنا بالمهمل المرادف للممات ما كان مستعملاً من الألفاظ وترك لعِلّة صوتية أو دلالية أو زمنية.

ومن الألفاظ التي تحمل دلالة الممات والمتروك لفظ "الاستغناء"، وقد ذكر سيبويه هذا المصطلح في غير ما موضع من كتابه، ومن ذلك قوله:

((يستغنون بالشَّيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطاً))[٩].

ومن الأمثلة التي ساقها اللغويون على الاستغناء لفظة "ودع" و"وَذِر" التي استغني عنها بلفظة "ترك".[١٠]

فهذا التغيّر اللفظي واستبدال لفظ بلفظ يحمل دلالة اللفظ المستغنى عنه يمكن أن يعد من الممات ونقف على مصطلح "العُقْمِيّ" الذي يقارب

---

(٧) الصاحبي في فقه اللغة ٩٠.

(٨) سر الفصاحة ١٤٥.

(٩) انظر الكتاب ٢٥/١، ١٥٨/٣، ٥٩٩، ٦٤٦.

(١٠) انظر الخصائص لابن جني ٢٦٦/١.

مصطلح المتروك والمصطلحات السابقة، فثمّة اتفاق يكاد يكون بين علماء اللغة على أنّ العُقْمِيّ هو الكلام القديم الغريب الغامض الذي درس، وقد جاء في اللسان ((وكلام عُقْمِيٌّ قديم قد دَرَسَ، كما روي عن ثعلب، والعُقْمِيّ من الكلام غريبُ الغريب، والعُقْمِيّ كلام عَقيمٌ لا يُشْتَقُّ منه فِعْل، ويقال: إنّه لَعالِمٌ بعُقْمِيّ الكلام، وُعقْبِيّ الكلام، وهو غامض الكلام الذي لا يعرفه النَّاس، وهو مثل النّوادر وقال أبو عمرو: سألت رجلاً من هُذيل عن حرف غريب، فقال: هذا كلام عُقْمِيّ، يعني أنَّه من كلام الجاهليّة لا يُعْرَفُ اليومَ، وقيل: عُقْمِيُّ الكلام، أي: قديمُ الكلام، وكلام عُقْمِيٌّ وعِقْمِيٌّ، أي: غامض، والعُقْمِيُّ الرَّجُلُ القديمٌ))[١١].

إن المصطلحات الأربعة السابقة "الممات والمتروك والمهمل والعقمي" مصطلحات متقاربة في معانيها إلى حدٍّ كبير، وقد استخدمها القدماء، ولكن لم تكن مترادفة تماماً وإن كان الاتفاق قائماً بينها على عدم الاستخدام بسبب غرابتها وغموضها وثقلها وقدمها. ولا نقف على توحيد للمصطلح قديماً.

أما ما ذكرت من الأوصاف التي تشابه الممات وتلتقي معه في بعض الجوانب التي تدل على قلة الاستعمال والترك أحياناً للبعد عن الفصاحة كالمنكر والضعيف والرَّديء والمذموم والحوشي والقبيح والغريب، فهي أوصاف متقاربة الدّلالة، ويجمعها قلة الاستعمال والتنافر الصوتي واستعمال العرب للهجات المتعدّدة المتفاوتة في رتب الفصاحة فكل ما نزل عن رتب الفصاحة وسننها عدّ من هذا الباب.

فالمنكر ((غير المعروف في أصل اللغة، والضعيف "ما انحطّ عن درجة الفصيح"، والرّديء والمذموم من أقبح اللّغات وأنزلها درجة، والحوشيُّ وحشيُّ الكلام وغريبه، والشاذُّ يلتقي مع الحوشي والغريب والنادر من حيث غرابته وخروجه عن المعتاد من المقول))[١٢].

وبعد أن عرضنا للمصطلحات المشابهة للممات نعود لتحقيق القول في مصطلح "الممات" وذكر الدراسات الحديثة حول هذا المصطلح.

---

(١١) لسان العرب (عقم) ، وانظر أساس البلاغة للزمخشري "عقم" وتاج العروس "عقم".

(١٢) انظر المزهر ١٧٥، ١٧٨.

العبارات الدالة على موت الألفاظ عند علماء اللغة في العصر الحديث

عبَّر علماء اللغة في العصر الحديث عن الممات في اللّغة بقولهم: البقايا الأثرية وانقراض الكلمات والركام اللغوي والرواسب اللّغويّة والحُطام المتناثر وموت الألفاظ والممات في اللغة.

فقد استخدم مصطفى صادق الرَّافعي في كتابه "تاريخ آداب العرب" مصطلح البقايا الأثرية للتعبير عن الألفاظ المهملة التي لا نحتاجها في وقتنا الحالي، فقال:

((ولو ذهبنا إلى المعارضة بين ألفاظ الحياة العربية الأولى وما اختصّت به من المعاني وبين هذه الحياة الحضريّة ومستحدثاتها، لرأينا قسماً كبيراً من اللّغة يتنزّل منها منزلة البقايا الأثرية لأنّنا لا نحتاجه ولا هو مما يعدّ فضلاً عن الحاجة فينظر به وقتها، وذلك كأسماء الإبل وصفاتها الكثيرة، وكأسماء كثير من الحشرات، وما جاءت به اللّغات المتعدِّدة، وهو كثير تطفح به معاجم اللغة))(١٣).

فالرَّافعي يقصد بالبقايا الأثرية الكلمات القديمة التي استخدمت في الحياة الجاهلية القديمة ولم يعد لها استخدام في الحياة الحضرية المستحدثة فهي مماثلة للألفاظ الميتة والمتروكة أو المهملة ويعبِّر عن ذلك بقوله: ((وإنَّما نريد بالبقايا الأثريّة ما أراده علماء اللغة أنفسهم حين جمعوها فإنهم عدُّوا من اللُّغات: منكراً، ومتروكاً ومُماتاً))(١٤).

أما مصطلح "انقراض الكلمات" فقد ذكره حلمي خليل في كتابه "المولّد في العربية" إذ تحدَّث في كتابه هذا عن الكلمات التي انقرضت في اللّغة، وتحدّث عن المنكر والمذموم والرّديء والمتروك وغيرها من الصفات التي تلحق اللفظ للدلالة على ترك استعماله.(١٥)

---

(١٣) تاريخ آداب العرب للرافعي ١/١٤٢.

(١٤) المصدر السابق ١/١٣٤.

(١٥) انظر: المولّد في العربيّة: حلمي خليل ١٤٧، ١٤٩.

أما استخدام "الرُّكام اللُّغوي" فقد أورده د.رمضان عبد التَّوَّاب في بحث له(١٦)وأشار إليه في كتابه "التطوّر اللّغوي". وأراد بالرُّكام اللُّغوي: بقايا الظّواهر اللُّغوية المندثرة في اللّغة.(١٧)

وظهر مصطلح "الرّواسب اللّغويّة" في كتاب د.سمير استيتية بعنوان "اللِّسانيَّات المجال والوظيفة والمنهج". ويريد د.استيتيّة ((أن بقايا الكلمات ما هي إلاّ رواسب نحويّة أو صرفيّة من بقايا لغة أو لهجة قديمة درس أهلها فظلَّت تدلُّ عليهم))(١٨).

أمّا مصطلح "موت الألفاظ في العربيّة" فهو عنوان كتاب لعبد الرَّزَّاق بن فرَّاج الصّاعدي، وقد درس فيه مؤلِّفه ظاهرة موت الألفاظ في العربيّة وتحدَّث عن مصطلحات الممات ومرادفاته، وتحدّث عن أسباب موت الكلمات، وتعدّ دراسة الصاعدي من أهمّ الدراسات في ظاهرة موت الألفاظ كونها بحثت هذه الظاهرة بشكل مستقلّ متفرِّد، ولم تختص بمعجم أو كتاب معين، بل كانت دراسة عامة لهذه الظاهرة متخصِّصة فيها دون غيرها من ظواهر ألفاظ العربيّة.(١٩)

وكذلك استعمل د.موسى بن مصطفى العبيدان مصطلح "المُمات في اللّغة" في بحث منشور في مجلة التّراث العربي، تحدّث فيه المؤلّف عن مصطلحات الممات ومرادفاته، ومثَّل لبعض ألفاظ الممات، وتحدَّث عن أسباب موت الألفاظ، وأنواع المُمات.(٢٠)

وتحدّث د.سيف الدين الفقراء ود.محمد أمين الرَّوابدة عن الفعل الممات في دراستهما المعنونة بـ"الفعل المُمات، دراسة في معجم الجمهرة لابن دريد"، وذكرا جهود العلماء القدماء والمحدثين في موت الألفاظ،

---

(١٦) انظر: بحث الرُّكام اللُّغوي: د.رمضان عبد التّوّاب، المجلة العربية، الرِّياض، العدد الأول، السّنة الثانية، ١٩٧٧، ص٥٥، ٦٠.

(١٧) انظر: التطوُّر اللُّغوي: د.رمضان عبد التّوّاب، مظاهره وعلله وقوانينه ١٢، ٩٥، ١٠٢.

(١٨) انظر: اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، د.سميراستيتيّة ٦٠٥.

(١٩) انظر: كتاب "موت الألفاظ في العربيّة" د.عبد الرَّزَّاق فرَّاج الصّاعدي، ٢٢٥.

(٢٠) انظر: مجلة التراث العربي، د.مصطفى العبيدان، العدد ٩٥، ص١٢٣.

وتحدَّثا عن تعليل ابن دريد لموت الألفاظ، وذكرا الألفاظ التي صرَّح ابن دريد بإماتتها، وعدّا الفعل الممات من مظاهر التّطوّر اللّغوي.(٢١)

وبعد الاطِّلاع على الدّراسات السابقة حول المُمات في اللغة عامّة، وفي معجم الجمهرة لابن دريد خاصّة كان البحث عن مصطلحات الممات في "لسان العرب" خاصّة، ومنهج ابن منظور في تحديد الممات ومن ثَمَّ البحث عن أسباب موت الألفاظ كما أوردها ابن منظور وكما نستشفها من كلامه ونقولاته.

مصطلح "المُمَات" في معجم لسان العرب، ومنهج ابن منظور في إيراده

عبَّر ابن منظور عن "المُمات" في معجمه بقوله: فعل ممات، أميت فعله، أُميت أصل بنائه، مهمل، لم يستعمل، تُرِك ولم يستعمل.

وابن منظور في حكمه على اللفظ لم يكن ليصدر عن رأي خاص به غالباً، فاللِّسان- كما ذكرنا- ه مجموع كتب لغة ومعاجم سبقته، فهو يوفِّق بين الثروة اللغوية الضخمة التي جمعها ويورد آراء أئمّة اللغة فيها، ويوضِّح كثيراً منها، فهدفه الحفاظ على ألفاظ العربيّة عامة الفصيحة والمماتة. أما منهجه في إيراد اللفظ الممات فيتوضح فيما يلي:

أولاً: ذكر ابن منظور غالباً أسماء علماء اللغة الذي نقل عنهم الألفاظ المماتة، كابن دريد (ت٣٢١هـ) والأزهري (ت٣٧٠ه) وابن سيده (ت٤٥٨ه)، وإن كان ابن دُريد يتصدّر قائمة اللّغويّين الذين نقل عنهم ابن منظور كلامه حول الألفاظ المماتة.

ومن ذلك قوله في مادة "ضيح":

((وقد ضَاحَه ضَيْحاً، وضَيَّحَة تَضْيِيْحاً، مزجه حتى صار ضَيْحاً. قال ابن دريد: ضِحْتُه مُماتٌ، وكُلُّ دواء أو سُمٍّ يُصَبُّ فيه الماء ثُمَّ يُجَدَّح ضَيَّاحٌ ومُضَيَّحٌ))(٢٢). نقل ابن منظور كلامه من جمهرة ابن دريد، موثّقاً قوله له بنسبته إليه، ولم يورد أيّ تعليق عليه ممّا يدلّ على موافقته إياه في عدِّ اللفظة "ضيح" من المُمات.

وقوله في مادّة "سكم":

---

(٢١) انظر: الفعل الممات: سيف الدّين الفقراء ومحمد أمين الرّوابدة، ٧.

(٢٢) اللّسان "ضيح".

((السَّكْمُ: تقارب الخَطْوِ في ضَعْفٍ، سَكَمَ يَسْكُمُ سَكْماً، وسَيْكَمُ اسم امرأةٍ، منه. التهذيب: ابن دريد، السَّكْم فعلٌ مُماتٌ، والسَّيْكَمُ الّذي يقارب خطوه في ضَعْفٍ))(٢٣).

ما نلحظه من المادّة السّابقة أنَّ ابن منظور نقل كلامه عن الأزهري في التهذيب، الذي نقل بدوره عن ابن دريد في الجمهرة. واكتفى بالنقل دون تعليق، ونقله المادة ذاتها عن أكثر من لغوي مذهبٌ في التدليل على ما جاء به من الحكم بإماتة اللفظة.

ومن الألفاظ المهملة قوله:

((الأزهري: أمّا بَنَط، فهو مهملٌ، فإذا فصل بين الباء والنون بياء كان مستعملاً))(٢٤).

وفي موضع آخر من اللسان يقول ابن منظور:

((زَلَغَهُ بالعصا: ضَرَبَه عن ابن الأعرابي، الأزهري، أمّا زلغ فهو عندي مهمل))(٢٥) ومن استطلاع مواضع المهمل في اللِّسان نجد أنَّ أغلب الألفاظ التي ذكر ابن منظور أنّها مهملة إنما نقلها عن الأزهري في تهذيبه، وصرّح بذلك.

ثانياً: ذكر ابن منظور في مواضع متعدِّدة اللفظ الممات والمهمل وغير المستعمل دون التصريح بأسماء علماء اللغة الذين نقل حكمهم حول هذه الألفاظ.

ومن ذلك قوله في مادة "حمط":

((حمط الشَّيْءَ يَحْمِطَهُ حَمْطاً: قَشَره. وهذا فعلٌ مماتٌ. والحَماطَةُ حُرْقَةٌ وخُشونةٌ يجِدُها الرَّجُلُ في حَلْقِه، وحَماطة القلب سَوادُه))(٢٦).

---

(٢٣) اللّسان "سكم".

(٢٤) اللسان "بنط".

(٢٥) اللسان "زلغ".

(٢٦) المصدر السابق "حمط".

وقوله في مادة "هكف":

((الهَكْفُ: السّرعَة في العَدْوِ وغيره، وهو فعل ممات))[٢٧].

ومن متابعة مصادر "اللسان" نقف على الفعلين "حمط" و"هكف" في المحكم لابن سيده، وقد نصَّ على أنهما فعلان مماتان، ونجد كلام ابن سيده بلفظه منقولاً في اللِّسان دون نسبة إليه.[٢٨]

ومن ذلك قوله:

((الكَمْثَرةُ: فِعْل مُمات، وهو تداخل الشّيءِ بعضه في بعض))[٢٩].

وقوله:

((دلان: من أسماء العرب، وقد أُمِيْت أصل بنائه))[٣٠].

اكتفى ابن منظور بالحكم على اللفظ بالإماتة دون أن يذكر اسم من نقل عنه، وفي التحقيق والعودة إلى مصادر اللسان نجد اللفظين "كمثرى" و"دلان" بحكم الممات عند ابن دريد في الجمهرة والنقل بلفظه.[٣١]

ويتّضح لنا من الأمثلة السابقة أنّ ابن منظور لم يلتزم منهجاً واحداً في نقل الفعل الممات، فتارة يعزو النقل لصاحبه وتارة أخرى ينقل القول دون نسبة، ولعلَّ السبب في ترك التوثيق أحياناً أنّه أورد في مقدِّمة كتابه أنّ عمله كان جمعاً أكثر منه تأليفاً، وأنّه ذكر في مطلع الكتاب أسماء المصادر اللغوية التي أخذ عنها مادّته، فكان في إغفاله بعض المواضع دون نسبة أمر لا يضير بكتابه.

ثالثاً: ويقوم منهج ابن منظور في إيراد الممات من الألفاظ عامة على ترك الحكم دون تعليل أو تعليق، بل ينقله بلفظه دون إضافة، ودون بيان سبب موت الألفاظ، ومن ذلك قوله في مادة "سهب":

((والتّسهيب: ذهاب العقل، والفعل منه مُمات. قال ابن هرمة:

أَمْ لا تَذَكَّرُ سَلْمَى وهي نَازِحةٌ إلاّ اعْتَرَاكَ جَوَى سُقْمٍ

---

(٢٧) المصدر السابق "هكف".

(٢٨) انظر: المحكم ٢٤٩/٣ "ح م ط" و"هـ ك ف" ١٤٥/٤.

(٢٩) اللسان "كمثر".

(٣٠) المصدر السابق "دلن".

(٣١) انظر: جمهرة اللغة: (ك م ث ر) ١١٣١/٢ و(د ل ن) ٦٨١/٢.

وتَسْهِيْبِ))[٣٢]

نقل ابن منظور هذا الكلام بتمامه من المحكم لابن سيده، ولكنه لم يذكر سبب إماتة اللفظ، واكتفى بالنقل، ولم يتابع هذا اللفظ في المعاجم الأخرى التي نقل عنها، فقد أهمل ابن دريد في الجمهرة والجوهري في الصحاح هذا اللفظ، ولم يورده أبداً في مادة "سهب".[٣٣]

وقد يورد سبب إماتة اللفظ إن كان المصدر الذي نقل عنه يذكر السبب، ومن ذلك قوله:

((النَّزْرُ: فعلٌ مماتٌ، وهو الاستخفاء من فزع، وبه سمِّي الرَّجُل نَزْرَة ونَارِزَة. ولم يجئ في كلام العرب نون بعدها راء إلاّ هذا، وليس بصحيح))[٣٤].

أخذ ابن منظور هذا الحكم على إماتة اللفظ من ابن دريد، وقد علّل ابن دريد سبب موت اللفظ هنا بسبب اجتماع النون وبعدها راء.[٣٥]

رابعاً: ومن منهجه أحياناً أنه يثري بعض الألفاظ بالشواهد والنقولات المتعدِّدة ويضيف ما يراه مناسباً للمادّة، فمثلاً في مادة "جعن" يقول:

((جَعْوَنَة: من أسماء العرب، ورجلٌ جَعْوَنَة إذا كان قصيراً سميناً، وقال ابن دريد: الجَعْنُ: فعلٌ ممات، وهو التَّقَبُّض، قال: ومنه اشتقاق جَعْوَنَة))[٣٦].

ويضيف ابن منظور في متابعة المادّة:

((وقد وجدت حاشية، قال أبو جعفر النَّحَّاس في كتب "الاشتقاق": "له جَعْوَنَة، اسم رجل مشتق من الجَعْن، وهو وَجَعُ الجَسَدِ وتكسُّره، قال:

---

(٣٢) اللّسان "سهب".

(٣٣) انظر: المحكم (س هـ ب) ٢٢٢/٤ والجمهرة (٢٠٠/١ هـ س ب) والصحاح "سهب".

(٣٤) اللّسان "نزر".

(٣٥) انظر الجمهرة "ز ر ن" ٦٢٠/٢.

(٣٦) اللّسان "جعن" وانظر الجمهرة (ج ع ن) ٤٨٥/٢.

ويجوز أن يكون مشتقاً من الجَعْو، وهو جمع الشَّيء، وتكون النّون زائدة))[٣٧].

ابن منظور يضيف في اشتقاق الفعل، لكنّه لا يتدخّل في بيان سبب الحكم على اللفظ بالإماتة.

من الأقوال السابقة حول منهج ابن منظور في عرض اللفظ الممات، لا نراه يتبع منهجاً واحداً في الحكم على اللفظ، ومردُّ ذلك أنّ ابن منظور كان جامعاً أكثر منه مؤلِّفاً، واختلاف إيراد الحكم تابع لمنهج المصدر الذي نقل عنه، وبتعدّد المصادر يختلف المنهج والعرض.

ألفاظ مماتة لم ينصّ ابن منظور على موتها

أغفل ابن منظور نقل الحكم على بعض الألفاظ بالإماتة، فأسماء الشهور وأيام الأسبوع وبعض الألفاظ التي هي من إرث الجاهليّة أميتت بسبب مجيء الإسلام، ونصّت كثير من كتب اللغة ومعاجمها على موتها، ولكن ابن منظور نقلها دون النص على موتها، ومن ذلك قوله:

((قال المفضَّل الضَّبّي: كانت العرب تقول في الجاهليّة لشعبان: عَاذِلٌ، ولرمضان: ناتِق، ولِشوَّال: دَعْلٌ، ولذي القَعْدة: وَرْنَة، ولذي الحِجَّة: بُرَك، ولمُحرَّم: مُؤْتَمِر، ولصَفَر: نَاجِرٌ، ولربيع الأوّل: خَوَّان، ولربيع الآخر: وَبْصان، ولجمادى الأولى: رُنَّى، ولجُمادى الآخرة: حَنين، ولرَجَب: الأصَمّ)) [٣٨].

ولعلَّ عبارة ((كان العرب تقول في الجاهليّة)) دليل على موت الألفاظ، إذ تركت هذه التسميات، ولم تعد مستعملة أبداً في الإسلام، وحلّت محلّها الأسماء المتداولة إلى وقتنا الحالي.

وكذلك حال أسماء أيّام الأسبوع القديمة التي زالت من الاستعمال، فقد كانت العرب تطلق على السبت: شِيَار، والأحد: أوّل، والاثنين: أهون وأهود، والثلاثاء: جُبار، والأربعاء: دبار، والخميس: مؤنس، والجمعة: عروبة.[٣٩]

---

(٣٧) اللّسان "جعن".

(٣٨) اللسان "عذل". وانظر: المزهر ١٧٩.

(٣٩) انظر: الأيام والليالي والشهور: للفراء ٦، واللسان "جبر، دبر، عرب".

وثمّة ألفاظ أخرى نصّت المعاجم على موتها، ونقلها ابن منظور وأغفل النص على إماتتها، ولا ندري سبب عدم نقله حكم الإماتة عليها، ومن ذلك:

((الدَّسْقُ: امتلاءُ الحوضِ حتَّى يفيض وهو أيضاً بياض الماء وبريقه))(٤٠).

لم ينص ابن منظور على إماتة هذا اللفظ، بينما عدّه ابن دريد من الألفاظ المماتة، وذلك في قوله: ((الدَّسْقُ: فعلٌ مماتٌ، ومنه اشتقاق الدَّيْسَق، الياء زائدة، وهو ترقرق السّراب على الأرض، وترقرق الماء المتضخضخ))(٤١).

وكذلك قوله:

((العَكْث: اجتماع الشَّيء والتئامه، والعَنْكَثُ نبت معروف))(٤٢) ولم ينص على موت اللفظ بينما أماته ابن دريد في الجمهرة والفيروزأبادي في القاموس والزبيدي في تاج العروس.(٤٣)

وقوله في مادة "محن":

((المِحْنَةُ: الخِبْرة، وقد امتحنه... وأصل المِحْنِ: الضَّرْب بالسَّوْط... والمِحْنُ: العطيّة.. المفضّل: مَحَنْتُ الثَّوْب مَحْناً: إذا لبسته حتى تُخْلِقَه. ابن الأعرابي: المِحْنُ: اللَّيِّن من كلِّ شيءٍ، ومَحَنْتُ البئر إذا أخرجت تُرابها وطينها.))(٤٤).

لم ينص ابن منظور على موت هذا الفعل "محن" وكذلك فعل كلٌّ من الأزهري والجوهري وابن سيده والزبيدي، وتفرَّد ابن دريد في الحكم على اللفظ بإماتته.(٤٥)

---

(٤٠) اللّسان "دسق".

(٤١) الجمهرة ٦٤٦/٢ (د س ق) .

(٤٢) اللسان "عكث".

(٤٣) انظر: الجمهرة "ع ك ث" ٤٢٦/١ والقاموس المحيط "عكث" والتاج "عكث".

(٤٤) اللسان "محن".

(٤٥) انظر: تهذيب اللغة "محن" ١٢١/٥، والصحاح "محن" والمحكم "محن" ٣٩١/٣ وتاج العروس "محن" والجمهرة "محن" ٥٧٢/١.

في هذا الموضع تابع ابن منظور الحكم الأكثر على اللفظ، وهو الحكم بعدم الإماتة. وهناك مواضع متعدّدة في اللّسان وردت فيها ألفاظ حكمت إماتتها كثير من المعاجم، ولم ينصّ ابن منظور على إماتتها.(٤٦)

ومن الألفاظ المماتة عند جمهور اللغويين والعرب ألفاظ كانت تستعملها العرب في الجاهلية وزالت أسماؤها بزوال أفعالها في الإسلام، ولم ينص ابن منظور صراحة على فنائها أو موتها، لكنّ سياق الكلام يلمح إلى ذلك، ومن هذه الألفاظ: المِرْباع والنَّشيطة والفضول.

فالمرباع: ((قال قطرب: المِرْباعُ: الرُّبع، والمِعْشار: العُشْر، ولم يسمع في غيرهما، ومنه قول النبيّ ρ لعديّ بن حاتم قبل إسلامه: إنَّك لتأكل المِرْباع وهو لا يحلُّ لكَ في دينك))(٤٧).

والمرباع أن يأخذ الرئيس ربع الغنيمة دون أصحابه، وهذا كان في الجاهلية وأبطل في الإسلام، فزالت الكلمة بزوال فعلها.

والنّشيطة: ((أن ينشط الرئيس عند قسمة المتاع الشيء النفيس يراه، إذا استحلاه، والنشيطة من الغنيمة، ما أصاب الرئيس في الطّريق قبل أن يصير إلى بيضة القوم...))(٤٨). من الألفاظ التي استعملت في الجاهلية ثم ماتت، كذلك: "الفضول" وهو "ما عجز عن أن يقسم لقلّته وخصَّ به"(٤٩) أي: بقايا الغنيمة الزائدة بعد التقسيم.

فهذه الكلمات "المرباع والنشيطة والفضول" ألفاظ زالت بزوال معانيها، إذ كانت خاصة بحقوق غير عادلة لسيد القبيلة في الجاهليّة، فلمّا جاء الإسلام ألغى هذه الحقوق فألغيت أسماؤها.

وكذلك لفظ "الصَّفايا" وهو ما يصطفيه الرئيس لنفسه مثل السيف والفرس والجارية قبل القسمة، وهذه اللفظ زالت بعد وفاة النبي ρ لأنه كان قد اصطفى في بعض غزواته وخصَّ بذلك، فقد اصطفى سيف مُنبّه بن الحجّاج ذا الفقار، واصطفى جويريّة بنت الحارث وصفيّة بنت حُيَيّ

---

(٤٦) انظر اللسان "دفص"، "ردك"، "روس"، "زغر"، "صدل"، "عشز"، "لخم".

(٤٧) المصدر السابق "ربع".

(٤٨) اللسان "نشط".

(٤٩) المصدر السابق "فضل".

وأعتقهما وتزوّجهما. وبعد وفاة الرسول ρ زال اسم "الصّفايا" و"الصَّفيّ" (٥٠).

أسباب موت الألفاظ

إنَّ النّظرة المتأنية للألفاظ المماتة في لسان العرب وغيره من معاجم اللغة توضّح أسباباً متعدِّدة جعلت علماء اللغة يصدرون هذا الحكم عليها لأنّ أسبابها لا تختلف عند اللغويين، ولعلَّ من أبرز هذه الأسباب: الأسباب الصوتية والدَّلالية والاقتراض اللغوي.

أولاً: الأسباب الصوتية

وتعدّ في طليعة الأسباب في تعليل موت الألفاظ، ونقصد بها تقارب مخارج الحروف وتنافر أصواتها، فالنفس تنفر من هذا التقارب، لأنه يجعل اللسان ثقيلاً، والعرب تعدل عن الثقيل إلى الأخف والتباعد بين الحروف أفضل وأحسن من تقاربها، وقد أفاض علماء اللغة قديماً وحديثاً في الحديث عن التقارب الصوتي للحروف وما فيه من نفور وثقل، ومن ذلك ما قاله ابن جنّي:

((فمن ذلك ما رفض استعماله، لتقارب حروفه، نحو: سص، وطس، وظث، وثظ، وضشوشض، وهذا حديث واضح لنفور الحسِّ عنه، والمشقّة على النفس لتكلّفه))، وكذلك حروف الحلق هي من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف أعني حروف الفم..))(٥١).

ويرى ابن سنان الخفاجي أنّ ((الحروف وهي أصواتٌ تجري من السمع مجرى الألوان من البصر، ولا شكَّ في أنَّ الألوان المتباينة إذا جُمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة، ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه في الصفرة، لقرب ما بينه وبين الأصغر، وبُعد ما بينه وبين الأسود، وإذا كان هذا موجوداً على هذه الصِّفة لا يحسن النّزاع فيه، كانت العلّة في حس اللفظة المؤلّفة من الحروف المتباعدة في العلة في حسن النقوش إذا مزجت من الألوان المتباعدة))(٥٢).

---

(٥٠) انظر اللسان "صفا"، والصّاحبي في فقه اللّغة ١٢٥.

(٥١) الخصائص ٥٤/١.

(٥٢) سر الفصاحة ٥٤.

وتابع علماء اللغة في العصر الحديث ما جاء به علماء اللغة الأوائل، وذلك لصحة طبعهم وحكمهم اللغوي، فنجد د.كمال بشر ينقل قرار علماء اللغة ((أن العربية تتجنَّب جمع الزاي مع الظاء، والسين والصاد والذال، وجمع الجيم مع القاف والظاء والطاء والغين والصاد، وجمع الحاء مع الهاء، ووقوع الهاء قبل العين، فالخاء قبل الهاء إلى آخر ما قرّروا.))(٥٣).

ومن الألفاظ الواردة في لسان العرب والمماثة لتقارب الحروف مخرجاً، كلمة "عشز" و"عقز".

جاء في اللسان: ((عشز الرَّجُل يَعْشِزُ عَشَزاناً: مشى مشية المقطوع الرِّجل، وهو العَشَزان والعَشْوَزُ ما صَلُبَ مَسْلَكُه من طريقٍ أو أرضٍ))(٥٤).

إن اجتماع العين والشين والزاي أدى إلى ثقل هذه الكلمة، فالعربي يأنف ثقل الكلمة إذ إن العين حرف حلقي والشين حرف من وسط اللسان والزاي من طرفه، مما يجعل اللفظ ثقيلاً، ومن ثمّ يهمل ويمات.

وكذلك قوله في مادة "عقز":

((العَقْزُ تقاربُ دبيب النَّمل))، أمات ابن دريد لفظ عقز وابن سيده والزبيدي، وأهمل الجوهري هذا اللفظ(٥٥).

وأخرج ابن فارس هذا البناء من أقيسة العرب وكلامها فقال:

((العين والقاف والزاي بناء ليس يشبه كلام العرب))(٥٦).

---

(٥٣) دراسات في علم اللغة: ١٩٦، وانظر في الموضوع ذاته: اللغة بين المعيارية والوصفيّة: د.تمّام حسّان ٨٧، واللّسانيات: د.سمير استيتية ٩٢.

(٥٤) اللسان "عشز" ٣٧٩/٥.

(٥٥) اللسان "عقز" وانظر: الجمهرة (ع ق ز) ٨١٥/٢، والمحكم "عقز" ٤٠٠/١ وتاج العروس (عقز) والصحاح "عقز".

(٥٦) المقاييس (عقز) ٦٨٧.

فهذا اللفظ أهمل وأميت لثقل حروفه وتقارب مخارجها ولا سيما العين والقاف، والعرب تطلب الخِفّة وتباعد الحروف، لأنّ الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت.

أمّا التنافر الصّوتي وعدم تلاؤم أصوات الحروف فهو من أسباب الحكم على اللفظ بالإماتة والاستغناء عنه، إذ إن التنافر يؤدي إلى ثقل الحروف ونفور السماع منه.

ومن ذلك كلمة "زهنع": يقول ابن منظور: ((زَهْنَعْتُ المَرْأَةَ وزَنَّتُّها إذا زَيَّنْتَهَا ونحو ذلك...))(٥٧).

فهذا اللفظ مستكره، ولا يوجد فيه تلاؤم صوتي، بل إن التنافر في جرسه الموسيقي يجعل الأذن ستكرهه، ومن ثمّ يهمل ويمات.

وكذلك كلمة "ثطع"، يقول ابن منظور: ((الثَّطَعُ: الزُّكامِ، وقيل هو مثل الزّكام ... وثَطَعَ ثَطْعاً: أَبْدَى ، وليس بثبت))(٥٨).

ومثل هذه اللفظة فيها تنافر صوتي وثقل في النطق مما يجعل العربي يهملها، وتموت مع الزمن لسهولة ألفاظ تدلُّ عليها مثل: الزكام.

ومن هذا الباب لفظة "ضعل" فقد نقل ابن منظور كلام علماء اللغة فيها ومنه: ((ابن الأعرابي: الضَّاعِلُ: الجَمَلُ القَوِيُّ، والطَّاعِلُ السَّهْمُ المُقَوَّمُ. قال أبو العبّاس: ولم اسمع هذين الحرفين إلاّ له، قال: والضَّعَلُ: دقّة البدن من تقارب النَّسَب))(٥٩).

عدم سماع اللفظ إلا من ابن الأعرابي، وقلّة استخدامه بل ندرته بسبب تنافر حروفه وعدم انسجام أصواتها وثقلها على اللسان، هذا أحد أسباب ترك استخدام اللفظ، ومن ثم موته.

إن النظام الصوتي المتلائم للكلمة هو ما يجعل الكلمة مستعملة أو مهملة، وقد أدرك علماء اللغة قديماً هذا الأمر ووافقهم علماء اللغة في العصر الحديث، ولذلك يقول د.كمال بشر:

---

(٥٧) اللسان "زهنع".

(٥٨) المصدر السابق "ثطع".

(٥٩) المصدر السابق "ضعل".

((تجيء الأصوات المؤلّفة للكلمة منسجمة متناسقة خالية من الثقل، ليس بينها تنافر يؤذي السمع أو عدم انسجام يفقدها حلاوة النغم وحسن التلقي والقبول، وقد أدرك علماء العربيَّة هذه الخاصّة في لغتهم، واستطاعوا بفكرهم الثاقب ونظرهم الدقيق أن يضعوا ما يشبه أن يكون قواعد صوتيّة لما ينبغي أن يكون عليه تأليف الكلمة من أصوات، أخذاً بنظام توزيع أصوات لغتهم على مدارج النطق ونظام التناسق والانسجام بين هذه الأصوات))[٦٠].

(٦٠) دراسات في علم اللغة د.كمال بشر ١٩٦.

ثانياً: الأسباب الدّلاليّة

من أسباب موت الألفاظ تغيّر الدلالة وانتقال اللفظ من معنى إلى آخر، وأكثر ما حدث ذلك في صدر الإسلام، وعبّر عن ذلك ابن فارس في قوله:

((كانت العرب في جاهليّتها على إرْثٍ من إرْثِ آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائهم قرابينهم، فلمَّا جاء الله- جلَّ ثناؤه- بالإسلام، حالت أحوالُ، ونُسِخَت ديانات، وأُبطلت أمور، ونُقِلَت من اللّغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أُخَرَ بزيادات زيدت، وشرائع شُرِّعَت، وشَرائط شرِّطت))[٦١].

ومن هذه الألفاظ التي نقلت معانيها بعد قدوم الإسلام لفظة "الصَّرورة" فقد ورد في لسان العرب: ((وقيل رجلٌ صَارُوْرَة وصَارُوْرٌ لم يَحُجَّ، وقيل: لم يتزوَّج، الواحد والجمع في ذلك سواء، وكذلك المؤنَّث. والصَّرورة في شعر النَّابغة: الّذي لم يأتِ النِّساء، كأنّه أصرَّ على تركهنَّ، وفي الحديث: لا صَرُوْرَة في الإسلام))[٦٢].

وقد أميت هذا اللفظ بعد ذلك، وسبب إماتته تغيّر العلاقة بين الدال والمدلول وعدم استعمال الكلمة ومعناها ونهي النبي عن هذا الفعل أمات الفعل ولفظه.

وكذلك من الألفاظ المماتة في لسان العرب وغيره لأسباب دلالية ومعنوية أسماء الأيام والأسبوع والشهور في الجاهلية، فقد استغنت العرب عن هذه التسميات الجاهلية وأطلقت عليها أسماء جديدة تتوافق والدين الجديد.

ولعلَّ من الأسباب الدلالية وراء الاستغناء عن اللفظ وإماتته حسب ما ورد في لسان العرب ما نلمسه من أسباب اجتماعية وتطور في الحياة مما يؤدي إلى ظهور مفردات لغوية جديدة وموت أخرى، ومن ذلك لفظ: الصوم والصلاة والحج والزكاة والجهاد، هذه الألفاظ التي حملت دلالات جديدة مع ظهور الإسلام.

---

(٦١) الصاحبي في فقه اللغة ٤٤.

(٦٢) اللسان "صرر".

وكذلك الألفاظ التي تدل على المنازل تحمله الإبل والملابس والعادات القديمة لم تعد تستعمل اليوم مثل:

"الطربال: الصومعة

العسجديّة: الإبل التي تحمل العسجد وهو الذّهب

العُرَاضة: الإبل عليها طعام أو تمر أو غيرها

التَّثَبُّن: إذا جعلت في الوعاء شيئاً وحملته بين يديك،... وإذا لففت عليه حُجْزَه سراويلك من قُدَّام".(٦٣)

إنَّ التطور الحضاريّ الحاصل في المجتمع سواء أكان من الناحية الاجتماعية أو السياسيّة أو الاقتصادية في المجتمع العربي أدّى إلى الاستغناء عن دلالة كثير من الألفاظ ومن ثمّ الاستغناء عن دوالها، وظهور الحاجة إلى كلمات جديدة أدّى إلى موت كلمات وابتداع أخرى. ولذلك يقول أحد علماء اللغة المحدثين:

((المادة الأوّلية للغة تبقى على حالها، فهي ثابتة لا تتغير، وليس من الممكن أن يتطرَّق الفناء أو الإماتة إلى المادَّة الخام، إلاَّ إذا قضى الله ألا تكون اللغة ذاتها، فأمّا الأشكال فهي تحيا وتموت، تحييها ضرورة تعبيرية ويميتها انعدام هذه الضرورة، ثمَّ تبعثها في صورة أخرى ضرورة جديدة، وهكذا دواليك))(٦٤).

(٦٣) انظر اللسان "طربل، عسجد، عرض، تبن".

(٦٤) القول لـ عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية ٥٥.

ثالثاً: الاقتراض اللغوي

من أسباب موت الألفاظ في اللغة أخذها من لغة أخرى، لأن استعمال الألفاظ الدخيلة من لغة أخرى سيؤدي إلى حلولها محلّ الكلمات الأصلية للغة الأم. وقد عبّر عن ذلك د.موسى العبيدان بقوله:

((وإذا كان الاقتراض اللّغوي يؤدّي إلى زيادة الثروة اللّفظية للّغة القومية، فإنّه في الوقت سبب من أسباب موت بعض كلمات اللغة الأصلية، فإذا شاعت بعض الكلمات المقترضة بسبب كثرة الاستعمال فإنّه يندر استعمال مقابلها من كلمات اللغة الأصلية حتى ينتهي بها المطاف إلى موتها أو هجرها، ومن أمثلة ذلك في اللّغة العربيّة استعمال العرب لكلمة "الإبريق" بدلاً من "التأمورة"...)).[٦٥]

وقد وردت في اللسان ألفاظ كثيرة من لغات أخرى استخدمها العربي واستغنى بها عن اللفظ الأصيل ومنها لفظة "التّنور":

قال أبو منصور: ((وقول من قال: إنَّ التّنور عمّت بكلّ لسان يدل على أنّ الاسم في الأصل أعجمي، فعرَّبتها العرب فصار عربيّاً على بناء فَعُّول، والدّليل أنّ أصل بنائه "تنر" قال: ولا نعرفه في كلام العرب، لأنّه مهمل، وهو نظير ما دخل في كلام العرب من كلام العجم مثل الدِّيباج والدِّينار والسندس والإستبرق وما أشبهها، ولمَّا تكلَّمت بها العرب صارت عربيّة)).[٦٦]

وقوله في مادة "اصطبل": ((الإصْطَبْل: موقفُ الدَّابّة، وفي التّهذيب: موقف الفرس... وقال أبو عمرو: الإصطبل ليس من كلام العرب))[٦٧].

وقوله في مادة "برنس":

((وقد تَبَرْنَس إذا لبسه "الثوب" قال: وهو من البِرْس بكسر الباء القطن، والنون زائدة، وقيل: إنّه غير عربي))[٦٨].

---

(٦٥) قوله في مجلة التراث العربي، المقال: "الممات في اللغة" العدد ٩٥، ص٢٣.

(٦٦) اللسان "تنر".

(٦٧) المصدر السابق "اصطبل".

وأمثلة الألفاظ المقترضة من اللغات الأخرى كثيرة في اللسان، وقد حلّت كثير من هذه الأسماء محلّ الألفاظ العربية، ولازالت إلى الوقت الحالي مستعملة، وأماتت البديل العربي الأصيل لكثرة استعمالها.

أنواع الممات في "لسان العرب"

الممات من الألفاظ في لسان العرب يقع على ضربين: الممات من الأسماء والممات من الأفعال، وفي كلا النوعين ما لا يحصى من الألفاظ المماتة والمهملة سواء أنصَّ ابن منظور على إماتتها أم ألمح إلى ذلك.

أولاً: من الأسماء التي حكم ابن منظور بإماتتها

من الأسماء المماتة في لسان العرب إماتة المفرد الواحد وعدم استعماله واستخدام الجمع، ومن ذلك قوله:

((الأثاث لا واحد لها، كما أنّ المتاع لا واحد له، قال: ولو جمعت الأثاث لقلت: ثلاثة آثَّةٍ، وأُثُثٌ كثيرة))[٦٩].

وقوله:

((وتباشير كُلِّ شيء: أوَّلُه كتباشير الصباح والنور لا واحد له.))[٧٠].

إن الأثاث والتباشير لفظتان لا واحد لهما، والمفرد لا يمنع من استخدامه مانع كأن تقول: أُثُّ أو تبشير، لكنّ العرب عتادت استعمال الجمع وأهملت المفرد فاستغني عنه وأميت.

وكذلك قوله:

((الهَكَف: السُّرعة في العَدْو وغيره، وهو فعل ممات))[٧١]. أميت الفعل، ومن ثمّ أميت الاسم لثقل حروفه.

ومن الأسماء المماتة ما أميت استعمال واحده وهو مثنًّى، مثل قول ابن منظور: ((المِذْرَوان أطراف الأليتين، ليس لهما واحد))[٧٢].

---

(٦٨) المصدر السابق "البرنس".

(٦٩) اللسان "أثث".

(٧٠) المصدر السابق "بشر".

(٧١) المصدر السابق "هكف".

وقوله:

((دواليك: ومعناه مُداولة بعد مُداولة، ولا يفرد له واحد))[٧٣].

ومن الأسماء التي أماتتها العرب ولم تستعملها أسماء الأيام والشهور- كما سبق ذكرها-. وقد ذكرنا فيما مضى أسماء متعدِّدة أميتت لأسباب متعدِّدة أهمها: الصّوتية ومن ثمّ الدلالية.ولكنّ ابن منظور لم ينصّ بمصطلح "أميت" أو "ممات" على الأسماء، ولم أقف إلا على موضع واحد في اللِّسان، وذلك قوله: ((اللَّبُؤُ: الأَسَدُ، وقد أميت))[٧٤].

(٧٢) المصدر السابق "ذرو".

(٧٣) المصدر السابق "دول".

(٧٤) اللسان "لبأ" ١/١٥١.

ثانياً: من الأفعال التي نقل ابن منظور الحكم بإماتتها

ثمّة أفعال كثيرة استغنت عنها العرب وأميتت، واختلف في أصلها فمنها ما هو ثنائي مضعف أو ثلاثي وهو الأكثر، ومنها ما هو رباعي، وقد ورد في لسان العرب طائفة من الأفعال المماتة (انظر جداول الألفاظ التي أميت فعلها وأهمل في آخر البحث) فمن باب الثنائي المضعّف قوله:

((التَّقْتَقة: الهُوِيُّ من فوق إلى أسفل على غير طريق...والتَّقْتَقة سُرْعةُ السَّيْرِ))[٧٥] أميت الفعل الثنائي المضعّف "تَقَّ" وضعف ليلحق بالرباعي. قال ابن دريد:

((تَقَّ تَقْاً، ثُم أميت هذا الفعل، ورُدَّ إلى بناء جَعْفَر في الرُّباعي، فقالوا: تَقْتَقَ))[٧٦].

وقوله:

((والجَعْجَعَةُ أصواتُ الجمالِ إذا اجتمعت)) وأميت الفعل جَعَّ، قال ابن دريد: ((والجَعُّ أُمِيْتَ فَأُلْحِقَ بالرُّباعي في "جَعْجَع"، والجَعْجَعَةُ: القعود على غير طمأنينة))[٧٧].

وربّما كان سبب إماتة الفعل الثنائي ثقل الفعل المضعّف، واجتماع الحروف المتقاربة أو المتنافرة مما يجعل العربي يطلب الخِفّة والسّهولة في النطق، وهذا شأن ""زتَّ، سَقَّ، ضغَّ، هثَّ، هعَّ، هقَّ، هكَّ...".[٧٨]

أما الممات من الأفعال الثلاثية فلها النصيب الأكبر من الإهمال، لأنها أكثر الأفعال استعمالاً عند العرب ودوراناً على لسانها، ومنها:

((والتَّيَّار فَيْعَال من تار يتور، مثل: القيام، من قام يقوم غير أنَّ فعله ممات))[٧٩].

وقوله:

---

(٧٥) المصدر السابق "تقق".

(٧٦) الجمهرة "ت ق ق" ٧٩/١.

(٧٧) اللسان "جعع" وانظر الجمهرة "ج ع ع" ٩٠/١.

(٧٨) انظر المواد في اللسان "زتت، سقق، ضغغ، هثث، هقق، هعع، هككك".

(٧٩) اللسان "تير".

((والخِنْذِيذ الخَصِيُّ، وهو من الأضداد، ابن سيده، الخنذيذ بوزن فِعْلِيْل، كأنَّه بني من خَنَذَ، وقد أُمِيْتَ فَعْلُه))[٨٠].

وقوله:

((ودَرَهْتُ عن القوم: دَفَعْتُ عنهم، مثل: دَرَأْتُ، وهو مبدل منه، نحو: هَراقَ الماء وأراقَه، الأزهري، قال الليث: أُمِيْت فعله إلاّ قولهم: رجُلٌ مِدْرَهُ حَرْبٍ، ومِدْراهُ القوم هو الدَّافع عنهم))[٨١].

نلاحظ من الأفعال السابقة أن سبب إماتتها قد يعود إلى تقارب أصواتها وتنافر حروفها أيضاً، ومن الأفعال التي أُميت وبقي الاسم منها ليدل عليها قوله:

((الواعِيَة: الصُّراخ على المَيّت، لا فعل له))[٨٢].

وقوله: ((قال أبو منصور: والنَّذير يكون بمعنى المُنْذِر، وكان الأصل، وفعله الثّلاثي أميت))[٨٣].

وللأفعال الرّباعيّة نصيب من الإهمال والإماتة، وإن كانت أقلَّ من الأفعال الثلاثية إذ كلما زاد عدد حروف الكلمة زادت صعوبة النطق وظهر التنافر الصوتي على نحو أوضح من غيره ومن ذلك قوله:

((التهذيب في الرباعي: في حديث لقمان بن عاد: إذا اضْطَجَعْتُ لا أجْلَنْظي. قال أبو عبيد: المُجْلَنْظِي: المُسْبَطِر في اضطجاعه، يقول: فلست كذلك، ومنهم من يهمز فيقول: اجْلَنْظَأْتُ، ومنهم من يقول: اجْلَنْظَيت))[٨٤].

وكذلك قوله:

---

(٨٠) المصدر السابق "خنذ".

(٨١) المصدر السابق "دره".

(٨٢) المصدر السابق "وعي".

(٨٣) اللسان "نذر".

(٨٤) المصدر السابق "جلظأ".

((الأزهري: قال الليث: عَلْهَضْتُ رأس القارورة إذا عالَجْتَ صِمامَها لتسخرجه، قال: وعَلْهَضْتُ العينَ عَلْهَضَةً إذا استخرجتُها من الرأس، وعَلْهَضْتُ الرَّجُل إذا عالجْتُه عِلاجاً شديداً))[٨٥].

إن استثقال السمع في الفعلين السابقين وتقارب حروفهما وتنافر أصواتهما أهم سبب في موت هاتين اللفظتين.

ووردت أفعال خماسية مماتة ولكنها نادرة لقلّة عددها.

ويتّضح لنا أن الفعل الثلاثي أكثر الأفعال استخداماً عند العرب في كلامهم، ولذلك فإن ظواهر الإهمال والإماتة فيه أبرز من غيره من الأفعال الثنائية والرباعية أو الخماسية.

(٨٥) المصدر السابق "علهض".

جدول بالألفاظ التي أميت فعلها في لسان العرب

م	المادة	الكلمة	الجزء	الصفحة	المعنى
١	عَدَأ	عِنْدَأوة	الأول	١١٩	العسر والالتواء يكون في الرجل "أميت فعله"
٢	رحب	مرحباً	الأول	٤١٤	لقيت رحباً وسعة "أميت فعله"
٣	سهب	التسهيب	الأول	٤٧٦	ذهاب العقل "الفعل منه ممات"
٤	ضيح	ضيحته	الثاني	٥٢٧	كل دواء أو سمّ يصبّ فيه الماء ثمّ يُجَدَّح "ضِحْتُه ممات"
٥	خنذ	الخنذيد	الثالث	٤٨٩	الخصي من الخيل والفحل "أميت فعله"
٦	تير	تيَّار	الرابع	٩٧	الموج، السريع الجرية "فعله ممات"
٧	كمثر	الكمثرة	الخامس	١٥٢	تداخل الشيء بعضه في بعض "فعل ممات"
٨	نذر	النَّذِير	الخامس	٢٠٢	المحَذِّرُ "فعله أميت"
٩	نزر	النَّزر	الخامس	٤١٦	الاستخفاء من فزع "فعل ممات"
١٠	حمط	الحَماطة	السابع	٢٧٦	قشر "فِعل ممات"
١١	هيط	الهياط	السابع	٤٢٤	الصِّياح والجلبة "أميت فعله"
١٢	مظع	المِظْعُ	الثامن	٣٣٩	مَظَعَ الوتر: ألانَه "فعل ممات"
١٣	هكف	الهَكْفُ	التاسع	٣٥٠	السرعة في العَدْوِ وغيره "فعله ممات"
١٤	سكم	السَّكْمُ	الثاني عشر	٢٨٩	تقارب الخطو في ضعف "فعل ممات"
١٥	جعن	الجَعْنُ	الثالث عشر	٨٨	التَّقَبُّض "فعل ممات"
١٦	دلن	دلان	الثالث عشر	١٥٧	من أسماء العرب "أميت أصل بنائه"
١٧	مدن	مدن	الثالث عشر	٤٠٢	أقام "فعل ممات"
١٨	دره	دره	الثالث عشر	٤٨٨	دفع "أميت فعله"
١٩	وده	وده	الثالث عشر	٥٦٠	صدَّ "فعل ممات"

الجدول يوضِّح إماتة الأفعال في لسان العرب، وبقاء المسمَّيات، وقد عبّر عن ترك الفعل، والاستغناء عن استعماله بعبارة **"أميت فعله"** أو **"فِعْلُهُ مُمَاتٌ"**. وهي بمجملها أفعال ثلاثية الأصل.

وموت الأفعال في العربيَّة عامة، ولسان العرب خاصّة، أكثر من موت الأسماء، فالأسماء أشدّ تمكُّناً في النَّفس من الأفعال، كما قال علماء اللغة القدماء، وأثبته بقاء الأسماء وموت الأفعال.

ولم ينص ابن منظور بلفظ "أميت" و"ممات" إلاّ على هذه الأفعال المثبتة التي وقفت عليها من تتبّع معجم لسان العرب.

جدول المهمل من الأفعال

م	المادة	الكلمة	الجزء	الصفحة	المعنى
١	خذذ	خذذ	الثالث	٤٨٩	سال منه الصّديد
٢	تنر	التّنور	الرابع	٩٥	نوع من الكوانين
٣	ضوز	الضّوْز	الخامس	٣٦٧	لَوْك الشيء
٤	بنط	بنط	السابع	٢٦٦	النّسّاج
٥	زلغ	زلغ	الثامن	٤٣٢	الضَّرْب
٦	حيي	تحي	الثالث عشر	٢٢٢	الكواكب

أهمل الفعل وترك استعماله وبقي الاسم منه، ممّا يدلّ أنّ المهمل في هذا السياق قد يكون استعمل فترة من الزمن ثمّ ترك استخدامه فشابه الممات المتروك.

خاتمة

إنّ البحث اللُّغويّ الذي يعنى بجمع الألفاظ والحكم على استعمالها وفصاحتها أو إهمالها وموتها بحث عميق في العربية، وغورٌ واسع فيها، وقد حاول هذا البحث أن يلقي الضوء على مصطلح الممات وما في معناه من الألفاظ في معجم لسان العرب، وقد خلص إلى النتائج التالية:

١-إنّ موت الألفاظ في لسان العرب عُبِّر عنه بمصطلحات متعدِّدة، فتارة يصرح بإماتة اللفظ، وأخرى بإهماله أو الاستغناء عنه. والألفاظ المصرَّح بالحكم عليها بهذه المصطلحات قليلة جداً، بالنسبة لألفاظ العربيّة الواسعة.

٢-إنّ مصطلح "المهمل" في الأفعال، يقارب في بعض جوانبه مصطلح "الممات"، فكلاهما أفعال استعملت ثم تركت واستغني عنها، وبقيت الأسماء منها. فالإماتة تكون في الأسماء والأفعال، وهي في الأفعال الثلاثية أكثر.

٣-الألفاظ المتروكة والمماتة والمهملة التي لم ينص عليها هي ألفاظ لمسمّيات قديمة تركت أو هجر فعلها لبطلانه أو استبداله بما يناسب الحياة والشريعة الدينية والعادات والأخلاق الإسلامية.

٤-إن تقارب الحروف وتنافر الأصوات وثقلها له أكبر الأثر في موت اللفظ.

٥-إنّ التطوّر الدلالي ودخول ألفاظ جديدة من لغات أخرى يؤدّي إلى موت بعض من ألفاظ العربيّة.

٦-اللغة العربية مرنة، حيّة، قادرة على مواكبة العصر وتوليد ألفاظ جديدة من الموروث القديم، ومن ثمّ يمكن إعادة إحياء بعض الألفاظ المماتة إذا استخدمت بدقّة، أو تمّ الاشتقاق منها واستعمالها استعمالاً جديداً يتوافق والحياة الجديدة، وبهذا نستغني عن الدخيل والمعرَّب.

٧-إنّ الأحكام الواردة حول إماتة اللفظ أو إهماله ليس لابن منظور منها إلا الجمع والتنسيق والتبويب فهي تعبّر عن رأي من نقلت عنه كابن دريد والأزهري والجوهري وابن سيده وغيرهم، ولكنّ فضل الجمع والترتيب والإحصاء لا يستهان به.

هذا البحث محاولة لرصد الممات في معجم لسان العرب، وإن كان هذا المعجم الضخم يحتاج إلى دراسة مطوّلة متأنية.

والله وليُّ التوفيق

المصادر والمراجع

[١] أساس البلاغة: جار الله الزمخشري، دار صادر، بيروت ١٣٩٩هـ.
[٢] الاشتقاق: ابن دريد ١٩٧٩م، تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة المتنبي- بغداد- ط٣.
[٣] الأيام واللَّيالي والشهور: للفرّاء، تحقيق: إبراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية- القاهرة.
[٤] تاج العروس من جواهر القاموس: للزبيدي- المطبعة الخيرية- مصر- ط٢- ١٣٩٣ هـ.
[٥] تاريخ آداب العرب: للرافعي، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط١- ٢٠٠٠م.
[٦] التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب- القاهرة.
[٧] تهذيب اللغة: لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد علي النجار وإخوانه، مصر.
[٨] جمهرة اللغة: ابن دريد، تحقيق د. رمزي بعلبكي- دار العلم للملايين- بيروت- ط١- ١٩٨٧م.
[٩] الخصائص: ابن جنّي، تحقيق: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصري- ط٢- ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.
[١٠] دراسات في علم اللغة: د. كمال بشر- دار غريب- القاهرة ١٩٩٨م.
[١١] دراسات في فقه اللغة: د. صبحي الصالح- مصر.
[١٢] الرُّكام اللّغوي: رمضان عبد التواب- المجلة العربيّة- الرِّياض- العدد الأول- السنة الثانية- ١٩٧٧م.
[١٣] سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي- دار الكتب العلمية- ط١- ١٩٨٢م.
[١٤] الصّاحبي في فقه اللُّغة: لأحمد بن فارس- المكتبة السَّلفيّة- القاهرة- سنة ١٩١٠م.
[١٥] الصِّحاح: للجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت.

[١٦] العربية لغة العلوم والتقنية: عبد الصبور شاهين- دار الاعتصام- القاهرة.
[١٧] الفعل الممات: دراسة في معجم الجمهرة لابن دريد- د. سيف الدين الفقراء
و د. محمد أمين الروابدة.
[١٨] القاموس المحيط: للفيروز أبادي- دار الفكر- دمشق- ١٩٩٥م.
[١٩] الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون- مكتبة الخانجي- القاهرة- ط٣- ١٤٠٨هـ.
[٢٠] الكليات: لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: د. عدنان درويش ومحمّد المصري- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط٢- ١٤١٣هـ.
[٢١] لسان العرب: لابن منظور- دار صادر- بيروت- ط١- ١٤١٠هـ.
[٢٢] اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، د. سمير استيتية- عالم الكتب العلمية- ط١- ٢٠٠٥م.
[٢٣] اللغة بين المعيارية والوصفية: د. تمّام حسان-ط٤- عالم الكتب- القاهرة- ٢٠٠٠م.
[٢٤] مجلة التراث العربي- العدد ٩٥- مصر.
[٢٥] المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده، تحقيق: مصطفى السّقا وزملاؤه- مكتبة مصطفى البابي الحلبي- القاهرة- ١٣٧٨.
[٢٦] المزهر في علوم اللغة وأنواعها: السيوطي، تحقيق: محمد عبد الرَّحيم- دار الفكر- ط١- ٢٠٠٥م.
[٢٧] مقاييس اللغة: لابن فارس، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر: بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
[٢٨] موت الألفاظ في العربية: عبد الرّزاق فرَّاج الصّاعدي- الجامعة الإسلامية- المدينة المنوّرة- ٢٠٠٢م.
[٢٩] المولد في العربية: حلمي خليل- دار النهضة العربية- بيروت- ط٢- ١٩٨٥م.

Obsolete and Obsolete Comparable Words in Lesan Al-'arab Lexicon Study of Terms and Function

Dr. Eman Mohammed al-Madani
Arabic Language Dept, Faculty of Arts
Princess Nora bint Abdulrahman University, Saudi Arabia

Abstract. Arabic language philologists have been absorbed in collecting, defining and etymologizing Arabic lexis. They were competing against each other in surveying, classifying, and ranking these words in terms of eloquence and usage; consequently, a myriad of linguistic treatises have been written, and numerous comprehensive dictionaries of Arabic have been composed.Lisan al-'Arab by IbnManzour (d.711 AH) is one of the largest Arabic dictionaries. In its fold, it includes five books, which are ranked among the most important lexical and lexicographical writings. Lisan al-'Arab is an encyclopedic dictionary; that is why it has been selected to be my main source for etymologizing words, collecting obsolete, archaic, disused words, etc., in addition to other words of similar meanings.The research aims to study and establish the origins of the various terms used for labeling words as obsolete, which are semantically similar. After displaying scholars' views thereon, past and present, the research concentrates on IbnManzour's system of reporting obsolete words. It is a multi-approach system due to the multiplicity of sources of different approaches on which IbnManzour relied. Light is also shed on the reasons for the neglect and death of certain words— most important of which are phonological and semantic factors, besides the appearance of borrowed words. Moreover, the different types of obsolete words (nouns and verbs) in Lisan al-'Arab are highlighted.The main research objective is to reveal how much attention linguists paid to Arabic lexis through history, with particular reference to the efforts of IbnManzour in stating the multiple views on the death of words in Arabic. All these efforts serve the mother tongue, Arabic, and keep its stylistic sublimity and ranks alive. It is worth mentioning that a lot of abandoned and obsolete words can be resurrected, derived from and re-activated instead of using un-Arabic borrowed words.